رسالة من القسّ خِدر الموصليّ إلى البطريرك مار إيليّا النسطوريّ

الأب بطرس حدّاد*

القسّ خِدْر ابن المقدسيّ هرمز من آل البنّا[1] الموصليّ (١٦٧٩-١٧٥١) كاهن اهتمّ بالتأليف[2] وتعليم الأولاد، وأدار مدرسة في محلّة مار أشعيا بالموصل احتضنت عددًا حسنًا من الصبيان، ولشهرة مديرها وفد إليها الطلاّب من كركوك وبغداد، وأودع بطريركُ النساطرة نفسُه أبناءَ إخوته فيها، وأحدُ هؤلاء الأولاد هو «المنذور» أي المختار العتيد للكرسيّ البطريركيّ[3].

مال إلى الإيمان الكاثوليكيّ على إثر مطالعته تاريخ الكنيسة للكردينال بارُونيوس[4]، وقيل لتردّده على الآباء الكبّوشيّين في الموصل[5]. واتّخذ قراره النهائيّ بعد التقائه الأب أندراوس إسكندر

(*) أمين سرّ بطريركيّة الكلدان في بغداد. باحث في الشؤون التاريخيّة. من مؤلّفاته: أخواتكم راهبات الكلدان، ومار إيليّا الحيريّ.

(١) ورد لقب أسرته في مخطوط باريس عربيّ رقم ١٢٩ و١٦٢ (فهرس تروبر).

(٢) المشرق ٤ (١٩٠١) ٨٥٢ و٧ (١٩٠٤) ١٠٩٦.

(3) J.M. Vosté, o.p., «Qas Kheder de Mossoul», *Orientalia Christiana Periodica*, X (1944), p. 45-90.

(٤) المرجع نفسه، ص ٤٨.

(٥) الأب لوسي شيخو اليسوعيّ: «رحلة القسّ خِدْر الكلدانيّ»، المشرق ١٣ (١٩١٠) ٥٨١ وما بعدها.

الماروني القبرصيّ الذي جاء إلى ما بين النهرين من أجل جمع المخطوطات لمكتبة الفاتيكان[٦]. فقامت القيامة ضدّه حتّى اضطرّ إلى الهرب من الموصل وقرّر الالتجاء إلى روما، فرحل إليها ووصلها سنة ١٧٢٥، فقبله الكرسيّ الرسوليّ بحنان وأنزله في مدرسة كنسيّة عند بوتي سِيمْنُو حيث تفرّغ للمطالعة والاستنساخ والتأليف، فترك إرثًا ثمينًا من المخطوطات؛ ورقد بالربّ سنة ١٧٥١ م.

ورغم ابتعاده عن أرضه، فإنّه كان مهتمًّا بأبناء كنيسته، ورغم نبذه المعتقد النسطوريّ، لكنّه كان يرى في شخص البطريرك أبا الطائفة الذي يجسّد وجودها وديمومتها، وأنّه سليل الآباء البطاركة، على عكس البطاركة الكلدان اليوسفيّين المقامين في دياربكر (آمد)[٧]؛ وكان يحزّ في نفسه أن يكون البطريرك الجالسُ في دير الربّان هُرمز، وهو الخليفة الشرعيّ ـ في نظره ـ للآباء البطاركة، بعيدًا عن الكرسيّ الرومانيّ المقدّس، فيحاول من خلال هذه الرسالة ـ ولعلّه حاول في غيرها من قبلها ـ أن يجذب البطريرك ـ وهو تلميذه سابقًا ـ إلى الاقرار بالإيمان الكاثوليكيّ، وتوطيد البطريركيّة في شخصه بالقضاء على كرسيّ قوجانس وكرسيّ دياربكر. ونراه يعده بأمور هي بعيدة كلّ البعد عن غاية الاتّحاد الأصيلة، يعده: بالمال، وهيبة البيت البطريركيّ، وديمومة الكرامة البطريركيّة في هذه الأسرة: «ليتمتّع بها إخوتك من بعدك كما تمتّعت بها أنت وأعمامك من قبلك»! إنّ القسّ خِدْر بالتأكيد يكتب هذه الرسالة من تلقاء نفسه وليس بتوجيه من مجمع انتشار الإيمان أو من أيّة جهة كنسيّة أخرى.

---

(٦) المرجع نفسه، ص ٥٨٣ وأيضًا:

I.Al. Assemani, *De Catholicis seu Patriarchis Chaldaeorum et Nestorianorum*, Romae 1775, p. 240.

(7) E. Tisserant, «L'Eglise Chaldéenne», *Dictnn. de théol. cathol.*, XI, col. 238 ss.

والترجمة العربيّة لهذا المقال للقسّ سليمان صائغ: خلاصة تاريخيّة للكنيسة الكلدانيّة، الموصل ١٩٣٩، ص ١٢٤ وما بعدها.

المخطوط

وُجدت هذه الرسالة في خزانة بطريركيّة الكلدان ببغداد، مكتوبة على ورقتين منفصلتين (٢٢×١٦ سم) النصّ بالكلدانيّة في ورقة (وجه وظهر) وملحق بالعربيّة على الورقة الثانية (وجه فقط) يتبعه «حساب تواريخ» بالكلدانيّة، وفي هذا الحساب تظهر سنة ٢٠٥٧ يونانيّة (١٧٤٦م) أي أنّه تاريخ متأخّر عن تاريخ الرسالة. فهل الرسالة أصليّة وبخطّ المؤلّف، أم هي نسخة؟ لا أجزم، لكنّي أميل إلى الظنّ أنّها أصليّة وأنّ «حساب التواريخ» متأخّر.

إطّلع الأب فوستي الدومنيكيّ على هذه الرسالة عند القسّ إيليّا هومو الألقوشيّ (ت ١٩٣٢) لدى زيارته العراق (١٩٢٦-١٩٢٧) فطلب نسخة منها وعمد إلى نشرها مع ترجمتها[٨]، وهناك اختلافات طفيفة بينها وبين النصّ الذي بأيدينا، تكاد لا تذكر، ترجع بالأحرى إلى سهو الناسخ. ومن المحتمل أنّ الأب الباحث رأى نسختنا نفسها، لأنّنا نعلم أنّ البطريركيّة اقتنت بعض مخلّفات القسّ هومو المذكور.

وقد رأينا أن ننشرها بعد تعريبها، لفائدة الباحثين في تاريخ العلاقات بين كنيسة المشرق النسطوريّة وكنيسة روما، هذه العلاقة التي استمرّت وتكلّلت بانتماء آخر سليل للأسرة الأبويّة المسيطرة على البطريركيّة إلى الكنيسة الكاثوليكيّة المقدّسة وهو مار يوحنّا هرمز (ت ١٨٣٨) والذ خلّفه بطاركةٌ عن طريق الانتخاب الشرعيّ إلى يومنا هذا.

ترجمة الرسالة

[١ وجه] «. . وللمجمع المقدّس[٩]، باللغة السريانيّة، وأنا أترجمها إلى العربيّة، والباتري[١٠] يعقوب[١١] يترجمها إلى الإيطاليّة. ولتكن

(8) «Kas Kheder Maqdassi à Elie XII, Patriarche Nestorien d'Alqoš», *Le Muséon*, t.L (1937) p. 353-365.

(٩) يريد مجمع انتشار الإيمان المقدّس. وأوّل الرسالة ساقط.

(١٠) أي الأب، كلمة إيطاليّة الأصل (Padre).

(١١) يقترح الأب فوستي اسم يعقوب دي لوكا الذي كان حارس الأراضي المقدّسة (١٧٢٢-١٧٢٨) ولفترة شهر ونيّف سنة ١٧٤٤، ثمّ استقال وعاد إلى إيطاليا.

مختومة بختمك، وتكتب بها الشهر والسنة التي حدّدتها بها، وهي السنة المسيحيّة[١٢]؛ وتكتب اسم البابا المالك حاليًا، وهو البابا إقليمس ١٢ كورسينا[١٣]؛ وتأمره ـ أي الأب يعقوب ـ أن يرافقني أمام البابا وأمام كرادلة المجمع المقدّس كلّهم؛ فنعرض رسائلك ونأخذ منهم أجوبتها، وتكون مختومة بختم البابا، فأترجمها لك إلى السريانيّة، والأب يعقوب يرسلها حالًا إلى حلب إلى رئيس الباتريّة وهم يبعثونها إليك. وإن كان لك اعتراض خاصّ بخصوص ما قلته لك فاكتب لي سرًّا، وأنا أشرح ذلك عوضك أمام البابا.

وأمّا إن قبلتَ الكلام الذي قلتُه أمام سيادتك كما يفعل التلميذ أمام معلّمه الذي يحبّه، فإنّك ستجد راحة كبيرة، وتطيعك كلّ أبرشيّتك، وتجتمع ـ حولك ـ كالفراخ تحت جناحي الدجاجة[١٤]. ويؤخذ اسم البطريركيّة من دياربكر ويكون لك، وأنت تصنع عليها مطرانًا كالزمن السابق، ولن يبقى مَن يُلحِق بك أذى، وتكون محبوبًا جدًّا لدى البابا؛ وكلّ ما تريده يفعل لك؛ والمال الذي يرسله إلى مار يوسف[١٥] يحرم منه ويمنح لك. ولا يدعى مار يوسف بعدئذ بطريركًا بل مطرانًا تحت أمرك. وهكذا قليلًا فقليلًا يحدث ـ الأمر نفسه ـ مع أساقفة مار شمعون[١٦] الشلوخيّ[١٧] فيطيعونك. وسترسل أسقفًا إلى الهند[١٨] بواسطة روما وتحت رعاية المجمع المقدّس؛ وفي كلّ سنة تأتيك من الملبار أموال طائلة. فيعلو بيتك ويتقوّى، وتستمرّ البطريركيّة إلى أولاد أخيك جيلًا بعد

---

(١٢) كان الناطرة يستعملون السنة اليونانيّة في كتاباتهم.
(١٣) الأصحّ كُورييني، واقليمس الثاني عشر (١٧٣٠-١٧٤١).
(١٤) متّى ٢٣: ٣٧.
(١٥) يوسف الثالث (١٧١٣-١٧٥٧).
(١٦) شمعون الرابع عشر (١٧٠٠-١٧٤٠) ومقرّه قوجانس.
(١٧) نسبة إلى كرخ سلوخ وهي كركوك، ولعلّ قوله بالشين (شلوخايا) من باب التهكّم والتحقير.
(١٨) كانت في الملبار بالهند جماعة كبيرة من المؤمنين الذين تعتبرهم كنيسة المشرق جزءًا منها.

جيل إلى الأبد. أمّا إن لم تقبل هذا الكلام الذي كتبته لك فستندم جدًّا، وستأسّف عليّ بعد موتي إذ كنتُ عونًا لك في روما وذامًّا لمار يوسف، فإذا كان يقول للباتريّة أن يدعموه أمام البابا لسحب البطريركيّة من جديد من يديك، فأنا اتّهمته أمامهم وقلت لهم: أتساعدون رجلًا شرّيرًا وسيّئًا مثل يوسف هذا ابن مسيح[١٩] الذي يخرّب بلادنا[٢٠]؟ هذه وحدها تكفيك لكي تتيقّن الحبَّ العظيم الذي أكنّه لأبويّتك.

أنت اليوم في مقتبل أيّامك، وعنفوان حياتك وجمال عمرك[٢١]، وأطلب من الله أن يطيل أيّامك إلى مئة سنة وأن تحيا حياة هادئة سعيدة آمين.

وأشكر الله الذي أحبّك أكثر من إخوتك، إذ كنتَ أصغرهم عمرًا اختارك من رحم أمّك[٢٢]، كما اختار الملك داود أصغر إخوته[٢٣] للدرجة العظيمة السامية التي لا تعلوها درجة. وأنا أعتقد [ظهر الورقة] وأعترف حقيقة بأنّ الله اختارك لخدمته من بطن أمّك [ممزّق] لم يتخبك من أبناء قطيعكم، بل من أبناء بيتكم الكريم. فكما أنّ الله وقّر وعظّم بيتكم، فعليك أن تفعل كذلك؛ أي أنّ البطريركيّة التي وصلتك من خلال هذا البيت، عليك واجب إبقاء هذه الكرامة في هذا البيت ليتمتّع بها أبناء إخوتك من بعدك كما تمتّعت بها أنتَ وأعمامك من قبلك.

فلا تكن متاومًا لإيمان البابا، بل عليك أن تطيعه كما يطيعك أبناء قطيعك. فالبابا لا يريد أن تتبلبل طقوسكم وعاداتكم، وأن يصير طقسكم كطقس روما: لا! لا! بل أن تكونوا متّحدين معه بالمحبّة والإيمان فقط؛ وكمّلوا طقسكم كما كنتم تفعلون من قبل، وليبطل من وسطكم السجن والنزاع.

---

(١٩) لقبه المعروف «مروكي»، انظر: تيسران، المقال المذكور: ٢٤٢ .

(٢٠) إتّهام رخيص، فالرجل قاسى الأمرّين من أجل الإيمان، المرجع نفسه؛ بطرس نصري: ذخيرة الأذهان، ٢: ٣٠٧ .

(٢١) أسيم في ١٧٢٢/١٢/٢٥ وعمره ٢٢ سنة، فهو عند كتابة الرسالة ابن ٣٤ عامًا.

(٢٢) أشعيا ٤٩: ١؛ إرميا ١: ٥؛ غلا ١: ١٥ .

(٢٣) ١ ملوك ١٦: ١١ .

وبكلمة واحدة أقول لك: إذا أوفد البابا مبعوثين وكتبًا مطبوعة باللغة السريانيّة الكلدانيّة بحسب إيمان كنيسة روما إلى كلّ أساقفتكم، حتّى يصلوا إلى شمعون الشلوخيّ، ويشرحون لهم الإيمان بشهادات مقتبسة من كتبكم، فيخضعون كلّهم للبابا، وتبقى أنت وحدك، فماذا تفعل عند ذاك؟ وهذا الكلام الذي أقوله لك، لن يستغرق أكثر من عشر سنين حتّى يتحقّق. فلا تلمني، ولحكمتك تكفي الإشارة.

وأبيّن لك أيضًا أنّ سؤالًا مهمًّا طرح عليّ في روما، إذ إنّ كلّ الأساقفة القادمين من الشرق يقولون لي: لماذا بطريرككم لا يقرّب القربان ولا يقدّس في أعياد الربّ بهيبة واحتفال كما يفعل سائر البطاركة في الشرق والغرب، وكما يفعل البابا عندما يُحْمَل على الأكتاف في كنيسة مار بطرس؟ وهذا السؤال كان يحرجني جدًّا. فلو أنّ البابا سألني: أيقدّس بطريركُكم أم لا، فماذا أقول له؟ عيب عليّ أن أقول بأنّه لا يقدّس! وإن قلت إنّه يقدّس فأكون كاذبًا! فالآن أرغب وأتمنّى أن تقدّس القربان بيديك كما كان يفعل الرسل القدّيسون. وإنّ البابا نفسه يرسل إليك حلل البطريركيّة الخاصّة بالقدّاس. فما هو فرح الشعب في الأعياد المارانيّة إلاّ رؤية بطريركهم وهو يقدّس الأسرار، بالجمال والهيبة؟

ومن بعد العناق والقبل وضمّ يديك ورجليك المباركتين المكرّمتين، أتمنّى لك الصحّة والسعادة، آمين.

كتب في ٤ أيّار سنة ١٧٣٤ مسيحيّة وسنة ٢٠٤٥ يونانيّة.

عبدك الفقير

قسّ خِذْر بن

مقدسيّ هرمز[٢٤]

[٢] تكملة بالعربيّة: «ونعلم لأبويّتكم المكرّمة يا أبونا، أنّ هذا

(٢٤) التوقيع بالعربيّة في الأصل.

الكتاب قد سلّمتوه لبادري يعقوب ريّس الرهبان في القدس الشريف على القبر المقدّس لسيّدنا يسوع المسيح، فهو يرسله لمدينة حلب ليد ريّس الفرنسكانيّين السوكولند[٢٥]، وذاك يرسله بواسطة شمّاس إسحاق[٢٦] ليتقيّد عليه ويرسله عاجلًا مع رجل أمين، ليلّا يصير عليه كما صار على مكاتبي التي أرسلتهم مع هنديّ[٢٧] وخبّاهم خمسة سنين. وتكتب العنوان[٢٨] هكذا: في رأس المكتوب تقول: تصل هذه المكاتيب إلى مدينة رومية الكبرى، إلى دير مار برتولماوس الرسول، ليد بادري يعقوب ريّس الرهبان الفرنسيكانيّين في أورشليم، وهو يسلّمه بيد قسّ خدر ابن مقدسيّ هرمز الموصليّ الكلدانيّ في دير بونطي سيستو[٢٩]. هكذا يكون تعمل، إنشاالله يصلون المكاتيب، ثمّ أنا أعمل كما تأمرني سيادة أبويّتك.

واعلم أنّ في هذا الدير مار برتولماوس الإيزولا فيه بادري برنردين[٣٠]، هذا كان معلّم اعتراف في أورشليم ويعرف قسّ كانون وقسّ سليمان[٣١]، ويعرف كلّ أحوالكم. وفيه أيضًا بادري إنجيلوس[٣٢] هذا

---

(٢٥) يريد الرهبان الفرنسيكان الذين كانوا يلبسون النعال التي تشبه القباقيب في أرجلهم Zoccolanti.

(٢٦) هو تاجر كلدانيّ موصليّ كان قد سكن في حلب.

(٢٧) توما هنديّ شابّ سريانيّ من الموصل دخل كلّيّة انتشار الإيمان في ١/ ٥/ ١٧٢٨ وتوفّي في ١٦/ ٧/ ١٧٣٤ كما ذكر القسّ خِدْر في آخر رحلته (المشرق ١٣ : ٨٤٣) ورد اسمه في مخطوط باريس-عربيّ ١٢٨ كمترجم لكتاب تأمّلات إلى العربيّة سنة ١٧٣٢.

(٢٨) في الأصل: العلوان.

(٢٩) تقع كنيسة مار برتلماوس في جزيرة (إيزولا) في وسط نهر التيبر في روما، وهناك دير كبير ومستشفى مشهور. وكان القسّ خِدْر في كلّيّة كنيسة قريبة وقد زالت عند توسيع الطرق المحاذية للنهر.

(٣٠) الأب برنارد دي برلسينا خدم في الأراضي المقدّسة ما بين ١٧١١-١٧٣٠ على قول الأب فوستي.

(٣١) من قسس الناطرة الذين خدموا بيعتهم في أورشليم، وكان القسّ كانون من تلكيف وقد جاء إلى القدس سنة ١٧١٨ واهتمّ بتجديد دير الناطرة وبيعتهم كما ورد في مخطوط سريانيّ رقم ٥ في مكتبة الروم الأرثوذكس في أورشليم (فهرس شابو).

(٣٢) خدم في فلسطين ثمّ عاد إلى روما، نراه في حلب سنة ١٧٢٤ (ريّاط: وثائق ١ : ٥٦٤).

كان رئيس البادريّة في حلب، والآن عملوه[٣٣] معلّم لغة العربيّة في هذا الدير يعلّم بلسان العربيّ للبادريّة الذين يمشون مرسلين لأورشليم وإلى حلب، فإذا أرسلت مكتوب لبادري يعقوب يكون تحطّ لهم سلام في مكتوبك لأنّهم نافعين لنا كثير.

ونسلّم ونزيد السلام على الإخوة المكرّمين قسّ أوراها وقسّ إسحق[٣٤] وأخيهم شمّاس حنّا وأبو أبونا[٣٥] المكرّم قسّ هرمز، ومعلّمنا أعزّ الأعزّاء قسّيس كوركيس[٣٦]، يا ليت يكون بالحياة لأنّي أعرف قد شاخ كثيرًا. وسلام على جميع خدّام بيت قلّاية أبونا المكرّم بألف سلام ودمتم بالسعود ليوم الخلود، آمين».

---

(٣٣) في الأصل: عملوه، زلّة قلم.

(٣٤) أظنّه أخ البطريرك كما يفهم من كتابة ضريح في دير الربّان هرمزد. أنظر مقالنا في: «الكتابات السريانيّة في ديارات المشارقة»، مجلّة مجمع اللغة السريانيّة (بغداد) ٣/ ١٩٧٧ ص ١٧ الرقم الكتابي ١٣٧.

(٣٥) أبونا أي البطريرك، فالقسّ هرمز هو أبو البطريرك.

(٣٦) أظنّه يشير إلى القسّ كوركيس ابن القسّ إسرائيل بن هرمز ابن قسّ إسرائيل الكبير الكاتب والمؤلّف والخطّاط الماهر الذي كان في بطانة البطريرك. أنظر مقالنا: «كيوركيس الألقوشي مؤلّف وخطّاط»، مجلّة الاتّحاد، بغداد، العددان ٢ و٣ (١٩٨٥) ٦٧-٨٠؛ «خطّاطون مشارقة من آل رابي رابا»، مجلّة هيئة اللغة السريانيّة، بغداد ١٠ (١٩٨٦) ١٥٧-١٦٤.